دور الترجمة العربية في التقدم والتطور البشري عبر العصور

د.مصطفى حسين إسماعيل

ملخص البحث:

إن الترجمة من وإلى بنت عدنان دورا فعالا من حيث التطور والتنمية البشرية عبر العصور. وإن الإنسانية لمدينة لها. ولقد عرفت الجزيرة العربية الترجمة من وإلى العربية منذ العصر الجاهلي بحوالي مائتي سنة، كما عرف الإسلام الترجمة منذ بزوغ فجره في مطلع القرن السابع عشر وشجع على القيام بها ورعايتها. فانتدب الخلفاء العلماء الأخصائيين على القيام بترجمة ما في كنوز تراث الفرس والروم والهند واليونان من العلوم، كالفلسفة، والمنطق، والكيمياء، والطب، والفلك، والسياسة، والإدارة، والموسيقى، والجغرافية، والرياضيات، والحساب، والتربية، وغير ذلك مما لا غنى عنه للبشرية. ولقد أغدق الخلفاء والوزراء ورجال الدولة والأسر والبيونات المشهورة المال الطائل في سبيل دفع عجلة الترجمة إلى الأمام. ومن الخلفاء من يكافئ المترجمين بوزن ما ترجموا من الدينار. فنتج عن ذلك وجود جهابذة من العلماء والفلاسفة العرب المسلمين هضموا ما ترجموا من اللغات الأجنبية وزادوا عليه وألفوا كتبا جمة في تلك الميادين، فبذلك صانوا تلك العلوم للبشرية وطوروها، ثم جاء الأوروبيون، وترجموا أعمال هؤلاء العلماء المسلمين إلى لغاتهم الأوربية المختلفة وبنوا ثقافتهم وتقدمهم الصناعي على ذلك، كما أحدث ذلك تطورا ثقافيا، وسياسيا، وإداريا، واقتصاديا، وعلميا في الدولة الإسلامية، وفيما ها هنا محاولة لعرض المساهمة والدور الذي لعبته الترجمة في التقدم البشري عبر العصور. وسيتتبع المقال مراحل الترجمة العربية من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.

المقدمة:

شاءت قدرة الله ومشيئته وحكمته سبحانه وتعالى أن يعمر هذه المعمورة شعوب وقبائل وجعل التفاهم والتعارف بينها أمرا لا مناص منه إذ جعل كل شعب أو قبيلة معتمدة إلى غيرها في قضاء حاجة من حوائجها المادية أو غير المادية، بحيث لا توجد دولة في العالم اليوم في غنى عن غيرها بوجه أو بآخر. وشاءت مشيئة الله تعالى كذلك أن تكون الترجمة هي الوسيلة الأولى الفعالة للتفاهم والتواصل بين هذه الشعوب والقبائل المختلفة الألوان والألسنة. وهي الباب الرئيس المفضي إلى عقد العلاقات الإجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والتجارية، والصناعية، والمالية وغير ذلك مما يستحيل إنجازه إلا بمعية الغير، وسيراجع هذا المقال مظاهر دور ومساهمة الترجمة العربية في دفع عجلة التطور والتقدم البشري إلى الأمام.

وسينظر البحث عن وضع الترجمة العربية عبر العصور بداية من العصر الجاهلي فعصر صدر الإسلام ثم العصر الأموي والعصر العباسي والعصر الحديث، مشيراً إلى المواد والعلوم المترجمة.

بداية الترجمة العربية:

الترجمة في العصر الجاهلي:

ليس من السهل بل من المستحيل تحديد وجزم تاريخ بداية الترجمة العربية شأن ذلك شأن الحقول الأدبية والإنسانية غير العلوم البحتة. ومهما يكن من أمر فإن بعض الدارسين يذهب إلى أن العرب عرفوا الترجمة منذ العصر الجاهلي، إذ أن بعض النصوص من التوراة والإنجيل كان متداولا لدى أفراد من العرب. وأن وفود العرب على كسرى وتقلّب العرب في البلاد للتجارة، وفتوح الإسكندر المقدوني في الشرق، يقتضي كل ذلك شيئا من الترجمة ولو شفوية. وفي ذلك يقول عمر فروخ:

عرف العرب قبل الإسلام شيئا من النقل، فإن أشياء من التوراة والإنجيل كانت منذ الجاهلية معروفة في اللغة العربية. وكانت وفود العرب على كسرى وانتقال العرب بالتجارة بين فارس والعراق

والشام ومصر والحبشة، وذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية تدل على وجود نقل شفوي على الأقل...

ومنذ فتوح الإسكندر المقدوني في الشرق (٣٣٣-٣٢٣ ق-م) انتشرت الثقافة الهليسية (اليونانية المتأخرة) في سورية ومصر والعراق وفارس ونشأت المدارس التي تعلم العلم والفلسفة. وإذا كان الحارث ابن كلدة وابنه النضر قد تعلما الطب في مدرسة جنديسابور (فارس)، فلابد من أنهما كانا على معرفة باللغة الفارسية على الأقل (فقد كان في مدرسة جنديسابور فرس وسريان وروم وهنود - ولم تكن اللغة العربية، على كل حال، لغة التعليم(١).

الترجمة في عصر صدر الإسلام:

يذهب بعض الكتاب إلى أن عمر بن الخطاب هو المعرب الأول حيث أمر بتعريب الدواوين نقلاً عن الفرس، ثم أسس ديوان الجندي لتسجيل أسماء الجنود ورواتبهم، وديوان الرسائل أو البريد(٢). هذا، ويبدو لي أن الترجمة والنقل من العبرية إلى العربية الذي بدأ في العصر الجاهلي على يد اليهودية والنصرانية والتجار استمر إلى ظهور الإسلام.

دور اليهودية في الترجمة العربية في العصر الجاهلي:

"نشر اليهود في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها من تاريخ خلق الدنيا، ومن بعث وحساب وميزان، ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما أحاط بها من أساطير وخرافات كالتي أدخلها - بعد - من أسلم من اليهود مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأضرابهما. وكذلك كان لليهود أثر كبير في اللغة العربية، فقد أدخلوا عليها كلمات ومصطلحات دينية كثيرة لم يكن يعرفها العرب، مثل جهنم والشيطان وإبليس ونحو ذلك(٣).

وكان اليهود في الجاهلية يتدارسون دينهم في دار ندوة لهم تسمى "المدارس" وأنهم كانوا يقرءون التوراة والمشنة والزبور (مزامير داود) بلغتهم القديمة العبرية، ولكنهم اتخذوا العربية لغتهم اليومية، ونظم فيها بعضهم شعرا عربيا.

وعلى نحو ما تعرّب يهود يثرب تعرّب يهود حيبر ووادي القرى وفدك وتيماء، واشتهر بينهم غير شاعر كالسموأل بن عاديا(٤).

هذا، ولا يتسنى أن ينشر اليهود تعاليمهم بين القبائل العربية بدون الترجمة الكتابية والشفوية، كما أنه لا يتخيل إدخال الكلمات العبرية في اللغة العربية بدون الترجمة، وكذلك اتخاذ اللغة العربية كلغة يومية لهم ونظمهم الشعر بها.

دور النصرانية في الترجمة العربية في العصر الجاهلي:

كما نشر اليهود تعاليمهم مستوظفين في ذلك اللغة العربية فكذلك قام النصارى بالتبشير والدعوة إلى المسيحية، فوردوا الأسواق وبنوا الأديرة وأماكن عبادتهم، واتخذوا هم كذلك اللغة العربية لنشر تعاليمهم بين القبائل العربية كما يقول شوقي ضيف:

وقد انتشر النصرانية في اليمن وشمال الجزيرة الغربي والشرقي... ولا نصل إلى العصر الجاهلي حتى نرى النصرانية منتشرة في نجران وغيرها، ويظهر أن نجران كانت أهم مواطنها... ودخل الأحباش بقيادة أبرهة، فدعمت النصرانية واعتنقها كثيرون، وبنى لها كنائس في غير مدينة... وكانت النصرانية منتشرة بين عرب الشام من الغساسنة وغيرهم مثل عاملة وجذام وكلب وقضاعة... ونفذت النصرانية إلى عرب العراق أيضا إلى تغلب وإياد وبكر وتغلب في الحيرة... وكان الرقيق الحبشي الذي تزخر به مكة نصرانيا، ويظن أنه كان بها جالية من الروم النصارى، ويقال: إنه كان بها عبدان نصرانيان أصلهما من عين التمر وأنه كان بها جوار روميات، ويقال: إن شماسا زار مكة في الجاهلية(٥)...

وقد نشرت المسيحية تعاليمها بين العرب وأوجدت فيهم من يميل إلى الرهبانية ويبنى الأديرة... وكان القسس والرهبان يردون أسواق العرب، ويعظون ويبشرون، ويذكرون البعث والحساب، والجنة والنار، وقد ورد في القرآن كثير من الآيات تحكي أقوالهم وتفتد من مذاهبهم، مما يدل على انتشار هذه التعاليم بينهم... وكان من هؤلاء النصارى شعراء، كقس بن ساعدة، وأمية بن أبي الصلب، وعدي ابن زيد... كذلك أدخلوا على اللغة العربية ألفاظا وتراكيب لم تكن تعرفها العرب... (٦).

فوجود أفراد من وجهاء العرب عامة وقريش خاصة يعتنقون النصرانية ويعتزلون الناس للرهبنة، ويقرأون الكتب السماوية، وأن تظهر أثر النصرانية وأشعارهم، كل ذلك أمر يكاد يكون

مستحيلا بدون الترجمة الكتابية.

وهكذا يصح أن يقال إن الترجمة العربية مهما كان نوعها؛ أشفويا كان أو كتابيا، لعبت دورا جبارا وساهمت مساهمة لا يستهان بها على الأقل في مجال الدين والتجارة واللغة. ففي مجال الدين فإن شيئا من التوراة والإنجيل كان مترجما إلى العربية، ومعنى ذلك أن تعاليمهما كان منتشرا بين القبائل العربية حتى ذهب بعض علماء التاريخ إلى القول بأن قبيلة عربية (بقضها وقضيضها) نصرانية، وعد بعض الكتاب، ككتاب تاريخ الأدب العربي كثيرامن الشعراء الجاهليين كانوا نصرانيين. (شعراء النصرانية).

دور التجارة في الجاهلية:

... جعل عرب الحجاز مكة قاعدة لتجارتهم، ووضعوا الطريق تحت حمايتهم ووصل المكّيّون قبيل الإسلام عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغا منتهاه، إلى درجة عظيمة في التجارة، وعلى تجارة مكة كان يعتمد الروم في كثير من شئونهم – حتى فيما يترفهون به – كالحرير – وحتى يستظهر بعض مؤرخي الفرنج أنه كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للشئون التجارية وللتجسس على أحوال العرب، كذلك كان فيها أحباش ينظرون في مصالح قومهم التجارية(٧).

... ودليلنا الآن على هذه الاستفادة ما أخذه العرب في جاهليتهم من كلمات كثيرة فارسية ورومانية ومصرية وحبشية، نقل هؤلاء التجار وأمثالهم وأدخلوها في لغتهم، وجعلوها جزءا منها وأخضعوها لقوانينهم ونطق بها القرآن...(٨).

نعم، إن رحلة الشتاء والصيف وإيلاف قريش وغيرها من قبائل العرب في الجاهلية للتجارة والسياحة، وما بلغته تجارة قريش خاصة وقبائل العرب عامة، وكون مكة جمهورية تجارية، وأن الحركة التجارية النشطة الواسعة النطاق مما حدا بالعرب إلى جعل مكة مركزا إداريا لأعمالهم التجارية، ولقد لخص بعض البحثة هذا الروح التجاري الذي سيطر على أهل مكة بقوله:

فاشغلت في نفس كل منهم حمى تدفعه للعمل والمال والمضاربات التجارية، من التاجر ذي الأريكة الخشبية في الهواء الطلق، إلى صاحب الدكان الصغير، إلى رجل الأعمال الكبير صاحب الكتبة الكثيرين، الذي تزدان دفاتر حساباته الجارية بالأختام والكتابة الحاذقة، وبلغ من سيطرة هذا الروح التجاري أن كان من ألقاب الشرف في مكة لقب (تاجر)، ذلك اللقب الذي كان يجول لصاحبه أن يشارك في السلطان السياسي(٩).

والملفت للنظر في هذا النص أو المحل الشاهد فيه هو تلك العبارة "إلى رجل الأعمال الكبير، صاحب الكتبة الكثيرين الذي تزدان دفاتر حساباته الجارية بالأختام والكتابات الحاذقة". وعلى ضوء هذا، فلا يستبعد أن يكون هناك شيء من الترجمة ولو شفوية بل وحتى الكتابية ولاسيما إذا أخذ في الحسبان، أن مكة لم تعد أن تكون محطة على طريق القوافل، كما يذكر سترابو. فقد كانت مكة قبل القرن الخامس الميلادي "محطة للقوافل التي كانت تمر بها وهي راجعة من جنوب الجزيرة تحمل بضائع الهند واليمن إلى سوريا وفلسطين ومصر".

الترجمة العربية في العصر الأموي:

أثبتت المراجع أن "أول ترجمة ذات طابع علمي كانت في عهد الدولة الأموية على يد خالد بن يزيد بن معاوية. (المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها). فإنه أمر بترجمة بعض كتب في الصنعة والطب والنجوم(١٠). وعد خالد بن يزيد بن معاوية هذا أول من شجع عمل الترجمة في العصر الأموي فإنه بعد ما أبعد عن دست الخلافة ارتمي:

في أحضان العلم، ويروى أن خالدا هذا كان يرغب في تحويل مختلف المعادن إلى ذهب، فاشتغل بالكيمياء، وطلب من أستاذه ماريانوس، وكان راهبا، أن ينقل من اليونانية إلى العربية بعض الكتب التي تعالج علم الكيمياء. ويزعم ابن حلكان في كتابه (وفيات الأعيان) أي خالد بن يزيد نفسه وضع عدة رسائل في الكيمياء. ويروي ابن النديم في كتابه (الفهرست) أن ماريانوس ترجم كتابا في الكيمياء من اليونانية إلى العربية وهو أول كتاب علمي نقل إلى العربية في الإسلام(١١). كما يذكر أن طبيبا يهوديا يسمى ماسرجوين، وهو سرياني اللغة يقيم في البصرة، نقل للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كناشا مجموعا في الطب(١٢). كما أمر هشام بن عبد الملك بترجمة كتاب في تاريخ الساسنيين ونظمهم السياسة(١٣). ومن قبل "استكمل الخلفة مروان بن الحكم تعريب باقي دواوين الدولة إلى اللغة العربية"(١٤).

هذا، ولئن اهتم بعض الخلفاء الأمويين بأمر الترجمة، فإن النقل في هذا العصر لم يكن ظاهرة جماعية إنما

كان عملا فرديا يتعاطاه الهواة، ولا يحظى برعاية رسمية من الدولة(١٥).

الترجمة في العصر العباسي:

ومن قبيل اهتمام الخلفاء العباسيين بأمر الترجمة ما نقل عن ابن نباتة في ترجمته لسهل بن هارون:

"جعله المأمون كاتبا على خزائن الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد، فأرسلها إليه، واغتبط بها المأمون، وجعل سهل بن هارون خازنا لها"(١٦).

وهكذا كانت السيول من الترجمة؛ تجري معها سيول أخرى من تراث اليونان والفرس والهند، حتى ليكاد الإنسان يظن أنه لم يبق شيء من هذا التراث لم ينقل إلى العربية، سواء منه ما اتصل بالعلوم أو ما اتصل بالصناعات أو ما اتصل بالعجائب والأسمار والخرافات، أو ما اتصل بالملل والنحل. وكانت كل هذه السيول تتجمع في دكاكين الوراقين، ويطلب كل منها ما يجد فيه متاعه(١٧).

وبلغت الترجمة ذروتها في أيام هارون الرشيد وابنه المأمون، فأنشأ الأخير مركزا علميا جمع أو طلب إليه من العلماء والنقلة المهرة ما يطول بنا ذكر أسمائهم، وسمي ذلك المركز (دار الحكمة)، وفي ذلك يقول شوقي ضيف:

وتنشط الترجمة في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطا واسعا – وكان مما أذكى جذوتها حينئذ إنشاء دار الحكمة أو خزانة الحكمة، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها وجلب الكتب إليها من بلاد الروم، وكان يقوم على هذا العمل الضخم يوحنا بن ماسويه وكان طبيبا نسطوريا من مدرسة جنديسابور(١٨).

ويضيف عمر فروخ إلى ذلك قوله: ومنذ أيام أبي جعفر المنصور (ت: ١٥٨هـ/٧٧٥م)، أصبح النقل في رعاية الدولة، وعلى ذلك سار هارون الرشيد وابنه المأمون، وفي أيام المأمون اتسع النقل كثيرا، وأنشأ المأمون (بيت الحكمة) ووقف عليها الأموال للذين يريدون أن ينقطعوا إلى نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة لاعربية(١٩).

وبلغ من عناية الخلفاء العباسيين بالعلم والترجمة أنهم يفاوضون ملوك البلدان على جلب ما لدى شعوب تلك الملوك من التراث والذخيرة العلمية، ومن ذلك أن المأمون لما انتصر على الروم سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م) علم بأن اليونان كانوا – لما انتشرت النصرانية في بلادهم – قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها في السراديب، فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب مكان الغرامة التي كان قد فرضها عليه. فقبل توفيل (ثيوفيلوس) ملك الروم بذلك وعده كسبا كبيرا له. أما المأمون فعد ذلك نعمة عظيمة عليه(٢٠).

الترجمة العربية في العصر الحديث:

أشار عز الدين إشارة عابرة إلى شيء من تاريخ الترجمة من وإلى اللغة العربية، وذلك حين يقول: «في تاريخ العرب توجد فترتان تاريخيتان تمت فيهما الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وحقبة تمت فيها الترجمة العكسية من العربية إلى اللغات الأجنبية»(٢١). ولعله يريد بالفترتين العصر العباسي والعصر الحديث، وأما الحقبة التي تمت فيها الترجمة العكسية من العربية إلى اللغات الأجنبية فيريد بها فترة البعث الثقافي الأوروبي، وذلك حين استيقظت أوربا من سباتها العميق وعمدت إلى التراث العربي الإسلامي تترجمه إلى لغاتها المختلفة مما أنار لها الطريق إلى النهضة العلمية والصناعية. ويهمنا بهذا الصدد الفترة الثانية من الفترتين وتلك هي الفترة الحديثة.

وفي هذا العصر الحديث كثر تعريب الكلمات ودخول عدد وفير من أساليب التعبير الغربية. ولقد بسط الدسوقي القول في الدور الذي لعبته الترجمة في العصر الحديث في مصر، وتتبع مظاهر أثرها وكثرة الكتب المترجمة، ودور الصحف والمجلات في دفع عجلة النقل والترجمة العربية إلى الأمام، وكيف أدت الترجمة إلى تأثر المصريين بالثقافة الأجنبية، وكما تحدث عن انقسام المترجمين إلى أنواع عدة وما دار بينهم من صراع. ولم يترك الدسوقي شيئا ذا أهمية بالنسبة للترجمة العربية في هذا العصر الحديث إلا أشار إليه. وعلى ذلك فإن ما يقتبس منه يغني عن الإعادة فقال:

«وقد عظمت العناية بالترجمة، وترجم الجيد والرديء من كل لغة، فترجمت أميرة بابل لفولتير، وأقاصيص لكبار كتاب الإنجليز، والإنسان الكامل، وجنيفا، وحيرة طبيب لبرناردشو، وترجم الدكتور طه حسين زاديج لفولتير، وترجم

طعام الآلهة لويلز، والعالم الطريف لألدس هكسلي، وفي خلال العصور والآلهة عطاش لأناتول فرنس، وهنري وريتشاد الثاني والعاصفة لشكسبير، عدا ما ترجمه مطران سابقاً، ومدرسة الزوجات لأندرج جيد وسالومي لأوسكار وايلد، وأناشيد الرعاة لفرجيل، والحياة والحب وكيلوبرات لأميل لودفج ترجمة عادل زعيتر، والمتحزلقات لموليير، والندم لجان بول سارتر، وقصة الحضارة لبول ديورنت، ومئات غيرها. وقد أخذت دار الهلال منذ سنة ١٩٥٢م تترجم أمهات القصص العالمية في أسلوب شائق وطبعات سهلة التناول، كما ترجم فيض من الكتب في مختلف العلوم. ولقد وفدت على الشرق في سنة ١٩٥٣م مؤسسة (فرنكلين) الأمريكية للنشر وأسهمت في ترجمة أمهات الكتب الأمريكية في مختلف فروع المعرفة، وقد اتخذت مصر مقرا لها، وظهر من منشوراتها عدد من الكتب غير قليل، كما أن وزارة التربية والتعليم بمصر عنيت بترجمة المراجع ذات القيمة في العلوم المختلفة من شتى اللغات ويسرت نشرها وتداولها، وكذلك فعلت الجامعة العربية ودور النشر الخاصة، وظهرت مجموعة الألف كتاب في شتى فنون المعرفة كما ظهرت مجموعة الجمعية الثقافية المصرية، ونوابغ الفكر العربي وغيرها.

ولقد نجم عن كل هذا: عن انتشار التعليم بأنواعه وكثرة الصحف والمجلات، وحركة إحياء الكتب القديمة والتأليف والترجمة من كل لغة تياران أدبيان في مصر يختلفات بعض الاختلاف في الهدف والآثار(٢٢)؛

هذا، ويلاحظ أن الترجمة في هذا العصر الحديث تكاد تميل أو تركز على الأدب وإن كان هناك ترجمات في الحقول الأخرى.

المواد والعلوم المترجمة:

هذا، وقد استوعبت الترجمة العربية منذ العصر الجاهلي إلى العصر العباسي شيئا من نصوص التوراة والإنجيل، والمنطق، والفلسفة، والطب، والكيمياء، والرياضيات، والهندسة، وعلم الفلك والنجوم، والسياسة، واللاهوت، والجغرافية، والزراعة، الفن والأدب، واللغة وفيما يلي سلسلة من الأعمال التي نقلت إلى اللغة العربية عبر العصور السياسية العربية:

- سبقت الإشارة إلى أن شيئا من نصص التوراة والإنجيل كان معروفا في اللغة العربية. نعم، وحد شخصيات بارزة في العصر الجاهلي قرءت الكتب السماوية كورقة بن نوفل، فإنه "كان نصرانيا ق تتبع الكتب، وعلم من علم الناس" (٢٣). وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل الذي اتبع الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام(٢٤).
- كما سبق القول بأن ازدهار التجارة بين قريش وشهرة مكة في ذلك وكونها محطة القوافل التجارية التي تمر بها، وتقلب قريش في البلاد للتجارة كما هو معروف في رحلة الشتاء والصيف، كل ذلك يستدعى شيئا من الترجمة ولو شفوية. أضف إلى ذلك وفود العرب على كسرى.

وفي عصر صدر الإسلام أمر عمر ابن الخطاب بترجمة الدواوين نقلا عن الفرس.

وفي العصر الأموي "استكمل الخليفة مروان بن الحكم تعريب باقي دواوين الدولة إلى اللغة العربية". وفي هذا العصر أمر خالد بن يزيد بنقل كتب الصنعة (الكيمياء) إلى اللغة العربية، ونقل ماسرجويه، وهو طبيب يهودي الدين، سرياني اللغة، بصرى الدار، نقل للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ/٧١٧م) كناشا (مجموعا) في الطب(٢٥). وترجم كذلك لهشام بن عبد الملك كتاب في تاريخ الساسنيين ونظمهم السياسية(٢٦).

وفي العصر العباسي نقل عبد الله بن مقفع (ت: ٨٥هـ/٧٠٤م) "عددا من كتب السلوك إلى اللغة العربية ووضع كتاب كليلة ودمنة بالإستناد إلى قصص فارسية وهندية" (٢٧). ونقل كذلك "كتاب الأصول أو الأركان" في الهندسة لاقليدس اليوناني. وفي ذلك يقول ابن خلدون: "والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة (صناعة الهندسة) هو كتاب الأصول أو الأركان) وهو أول كتاب ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور. وجاء في كتاب الفهرست لابن النديم أن الحجاج بن يوسف ابن مطر نقل كتاب أصول الهندسة لاقليدس نقلين (مرتين): نقلا أولا يعرف بالهاروني نسبة إلى هارون الرشيد، وفي أيامه. ثم نقلا ثانيا يعرف بالمأموني نسبة إلى المأمون وفي أيامه. وكذلك نقل إسحاق بن حنين هذا الكتاب كله، ثم أصلح ثابت بن قرة نسخة إسحاق هذه(٢٨). وتوجد شروح جزئية كثيرة وتعليقات مختلفة على هذا الكتاب لنفر من العلماء يطول ذكر أسمائهم(٢٩).

وكذلك ترجم كتاب (السند هند) ومعناه المعرفة. وهو كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الأفلاك والكواكب. وترجم أيضا كتاب المجسطي اليوناني لبطليموس، وهو كذلك كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الأفلاك والكواكب(٣٠).

ومن بين الكتب التي ترجم للمنصور كتاب أرسطاطاليس من المنطقيات وغيرها، وكتاب الأرثماطيقي في الحساب، وكتاب اقليدس وهو في علم الأشكال الهندسية أمهاتها ومركباتها، وجميع هذه الكتب يونانية.

مساهمة الترجمة العربية في التقدم البشري:

لقد لخص عمر فروخ بعض مساهمة الترجمة العربية في التقدم الإنساني والبشري بصفة عامة، وهو بصدد الحديث عن كتاب الأصول أو الأركان (في الهندسة) لأقليدس اليوني إذ قال:

ولا ريب في أن الخدمة الجليلة التي قدمها العرب إلى الثقافة والعلم والحضارة، تلك الخدمة التي لا يمكن أن تقدر بثمن ولا أن تمر مرورا خفيفا في تاريخ العلم، إنما هي حفظهم لهذا العلم الجليل من الضياع، فلقد غبر زمن طويل لم يعرف فيه لكتاب الأصول لأقليدس نسخة غير النسخة العربية. من أجل ذلك نقل هذا الكتاب من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية وطبع (باللاتينية) في البندقية عام (١٤٨٢م/٨٨٧هـ)، ثم وجدت نسخة يونانية فنقلت إلى اللاتينية وطبع هذا النقل الجديد في البندقية أيضا عام (١٥٠٥م/٩١٠-٩١١هـ).

ومن قبيل المساهمة العامة للترجمة العربية في التطور الإنساني والتقدم البشري أنها مهدت الطريق إلى إيجاد وتكوين شرزمة من الجهابذة العلماء والفلاسفة المسلمين الذين درسوا ما نقل إلى اللغة العربية من تراث اليونان والهند والفرس والرومان، وهضموه وانتقدوه وزادوا عليه، وهم بذلك قد حفظوا للإنسانية التراث العلمي المنقول من تلك الأمم المذكورة في فترة كانت أوربا في سبات عميق، ولقد أحسن عمر فروخ التعبير عن ذلك حيث يقول:

ثم اتسع النقل من اللغات القديمة؛ من الهندية والفارسية واليونانية، فشمل في مدة قرنين كاملين معظم وجوه المعرفة القديمة، وقد نشأ في أثناء ذلك القرنين وبعدهما جبابرة من رجال التفكير العلمي العملي، ومن رجال التفكير الفلسفي النظري نعد من الأولين جابر بن حيان والخوارزمي والبتاني والرازي والكرخي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والخازني وابن الهائم والكاشي. ونعد من الآخرين الكندي والفارابي وأبا الحسن الأشعري وابن سينا مرة ثانية، والإمام الغزالي وابن خلدون، يمكن أن يعد في كل ميدان من ميادين الفكر الإنساني(٣١).

ولقد تتبع فروخ هذه الشخصيات الجهبذة من سلاطين الفكر العلمي والفلسفي مبينا مساهمات كل منها في ميدانها، وكيف استفادت أوربا حين أفاقت من سباتها، وعكفت على ترجمة أعمال هؤلاء العلماء والفلاسفة المسلمين إلى لغاتهم المختلفة ويحصلون على جوائز من ملوكهم.

وتدل الترجمة كذلك على مبادئ العدل والتسامح والتعايش السلمي في الإسلام. فإن الخلفاء لم يقصروا إسناد وظيفة الترجمة إلى العلماء المسلمين بل قدموا المسيحيين وغيرهم من أتباع الأديان الأخرى. وقد كانت حسب تعبير شوقي ضيف: بيئات المستعربين العلمية تمارس نشاطها حينئذ، وكانت تمثلها الأديرة وما بها من حلقات علمية من المدارس متناثرة في جند نيسابور القريبة من البصرة وفي نصيبين وجيران والركا وأنطاكية والأسكندرية، وكان تغلب عليها جميعا الثقافة اليونانية، كما كان نغلب عليها علماء السريان المسيحيين، وكانوا قد نشطوا منذ القرن الرابع الميلادي في ترجمة الآثار اليونانية، واستمر نشاطهم في هذه الترجمة محتدما حتى القرن السابع(٣٢).

ويقول في ذلك أيضا خليل الجر:

وهكذا كان السريان، في مختلف هذه المدارس، حفظة الثقافة اليونانية الفلسفية والعلمية، وناقلي آثار اليونان، في هذين الحقلين، إلى لغتهم السريانية، وهذا ما حمل الخلفاء العباسيين على اجتذابهم إلى بلاط بغداد ليقوموا بدور النقل، إما من اليونانية إلى العربية مباشرة، وإما من اليونانية إلى العربية بواسطة ما نقلوه من اليونانية إلى السريانية(٣٣).

ومن أبرز مظاهر دور ومساهمة الترجمة في التقدم البشري تمهيد السبيل إلى التعارف الذي خلق الناس سبحانه وتعالى من أجله فقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ الحجرات:١٣.

ترجمة القرآن وتفسيره إلى اللغات الأخرى:

ولا يتم الحديث عن مساهمة الترجمة العربية في تقدم البشرية والإنسانية بدون الحديث عن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، والإقليمية والقومية والمحلية عبر بلدان العالم. فتم ترجمته إلى اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية والإسبانية والروسية واليونانية وغيرها من اللغات الأوربية. وكذلك تم ترجمته إلى اللغة الآسيوية، فترجم إلى الهندية والأردية والصينية واللغات الباكستانية والأندونيسية وغيرها. وتم كذلك ترجمة القرآن إلى اللغة الإفريقية كلغة الهوسا واليروبا والسواحيلي وغيرها. وقل مثل ذلك في تفسير القرآن إلى اللغات المختلفة في جميع القارات والدول، يقوم بذلك أفراد ومنظمات مختلفة ولاسيما في أيام شهر رمضان.

ويكفي مساهمة الترجمة القرآنية في تقدم الإنسانية والبشرية أنها مهدت الطريق عبر العصور للتخلي عن عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الله تعالى وحده. كما مهدت السبيل إلى نبذ العبادات والتقاليد السيئة الضارة للإنسانية والتي فرضتها هذه الأديان البدائية والطوطمية.

الخاتمة:

لقد قامت الترجمة من وإلى اللغة العربية بدور جبار لا يستهان به عبر اعصور التاريخ المدون التي مرت بها الإنسانية، ويرجع تاريخ الترجمة العربية إلى العصر الجاهلي حيث أُثر على ترجمة شيء من التوراة والإنجيل إلى اللغة العربية. كما اقتضى ازدهار التجارة في الجزيرة العربية إلى الحاجة إلى الترجمة ولو ترجمة شفوية، وكذلك نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي عهد بعض الخلفاء الأمويين.

وفي العهد العباسي أصبحت الترجمة أمرا رسميا تنفق عليه الدولة العباسية الإسلامية أموالا طائلة، وقربت العلماء المسلمين وغير المسلمين لهذا الشأن، فترجمت التراث العلمي اليوناني والهندي والفارسي والروماني من فلسفة وطب وغيرها. وبلغت الترجمة العربية ذروتها أيام الرشيد وابنه المأمون.

ويتجلى دور الترجمة العربية عبر التاريخ في أنها حفظت للإنسانية التراث الروماني والهندي واليوناني والفارسي العلمي من الضياع. ثم جاء الأوروبيون وترجموا أعمال المسلمين إلى لغاتهم الأوروبية المختلفة فتمكنوا بذلك من التقدم والتطور العلمي والصناعي الذي نشاهده اليوم، ولا تزال الترجمة العربية تقوم بدور ملموس في دفع عجلة التقدم البشري إلى الأمام. فيترجم الأعمال الأدبية والعلمية والتقنية من اللغات الأوربية المختلفة إلى اللغة العربية، وبناء على أهمية الترجمة ينصح الحكومة في الدول العربية أن تولى الترجمة ما يليق بها من الاهتمام مثل ما فعل السلف،زعماء المسلمين في العصور الإسلامية السابقة.

فأول دور انهضت به الترجمة العربية في دفع عجلة التقدم البشري إلى الأمام هو هدم الحدود الفاصلة بين الشعوب التي أقامتها اللغات المختلفة،فإنها كما أشار إليه الخليل الجر:

تحول دون إدراك شعب يتكلم لغة وشعب آخر يتكلم لغة أخرى يجهلها الأول، وما اهتدى إليه الثاني من أفكار وما ألف من صور، وما شعر به من حالات وجدانية وما نمق به تعابيره من ضروب المحسنات اللفظية والمعنوية، وما اهتدى إليه في حقول العلوم والفنون وسائر فروع المعرفة الإنسانية، فالترجمة تهدم هذه الحدود الفاصلة وتمكن المتكلمين باللغة المنقول عنها، فيستطيعون الوقوف على كيفية تفكيرهم، وعلى الخط البياني الذي اتبعه هذا التفكير، وعلى المنجزات العلمية والفنية في تراثهم، بالإضافة إلى تاريخهم وعقائدهم وأمانيهم وأحوالهم الغابرة والراهنة، وكل ما يمت إلى حضارتهم الفكرية والمادية بصلة. فالترجمة إذا هي الوسيلة المثلى للاتصال بحضارة الشعوب التي تتكلم لغات مختلفة، وفي الوقت نفسه وسيلة لإثراء الشعوب بالمنجنزات الفكرية والعلمية والجمالية والحضارية لدى شعوب متباينة اللغات. وهي كذلك خير وسيلة للتمازج بين الأمم، ولإلحاق الأمم المختلفة بالأمم المتقدمة، ولتقريب الفوارق بين البشر(٣٤).

نعم بالترجمة يتم التعارف الذي من أجله خلق الله الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل. ويتخذ هذا التعارف أشكالا سياسية واجتماعية ودينية وثقافية وتجارية واقتصادية وصناعية ومالية وأعمالية وغير ذلك.

الهوامش:

(١) عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١١١.

(٢) عز الدين: أسس الترجمة، ص: ٥.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص: ٢٤-٢٥.

(٤) شوقي ضيف، العصر جاهلي، ص: ٩٨.

(٥) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص: ٩٩-١٠٠.

(٦) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص: ٢٧-٢٨.

(٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص: ١٣.

(٨) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص: ١٦.

(٩) خلف: الشعراء الصعاليك، ص: ١٣٤-١٣٥. نقلا عن لامانس.

(١٠) العصر العباسي الأول، ص: ١٠٩.

(١١) تاريخ العلوم عند العرب، خليل الجر وآخرون، ص: ٦٨-٦٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص: ١١٣.

(١٣) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: ١٠٩.

(١٤) أسس الترجمة، ص: ٥.

(١٥) تاريخ العلوم عند العرب، خليل الجر وآخرون، ص: ٦٩.

(١٦) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص: ١١٤.

(١٧) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص: ١١٧.

(١٨) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: ١١٢.

(١٩) عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١١٤.

(٢٠) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١١٤.

(٢١) عز الدين: أسس الترجمة، ص: ٥.

(٢٢) الدسوقي: في الأدب الحديث، ج/٢، ص: ١٨١.

(٢٣) الروض الأنف، ج/١، ص: ٢١٧.

(٢٤) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٥٤-٢٥٥.

(٢٥) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص: ١١٣.

(٢٦) العصر العباسي الأول، ص: ١٠٩.

(٢٧) تاريخ العلوم عند العرب، خليل الجر وآخرون، ص: ١١٣-١١٤.

(٢٨) تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، ص: ١٢١.

(٢٩) المرجع السابق نفسه، ص: ١٢٢.

(٣٠) تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، ص: ١٢٣، ولاعصر العباسي الأول، ص: ١١٠.

(٣١) عمر فروخ: الثقافة الإسلامية، ص: ٢٥.

(٣٢) العصر العباسي الأول، ص: ١٠٩.

(٣٣) تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٧٣.

(٣٤) خليل الجر: تاريخ العلوم عند العرب ص ٩٧.

المراجع:

ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م: السيرة النبوية لابن هشام، أجزاء دار المعرفة.

أبو الحسن الندوي (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة التاسعة، دار القلم، كويت.

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: الروض الأنف في تفسير السيرة.

أبو محمد عبد الملك بن هشام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م: السيرة النبوية. المعافري (ت: ٢١٣هـ) تقديم وتعليق وضبط طه عبد الرءوف سعد، دار المعرفة.

أحمد أمين ١٩٦٩م: فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، بيروت، دار الكتاب العربي.

أحمد أمين ٢٠٠٨م/١٣٢٩هـ: ضحى الإسلام، أجزاء المكتبة العصرية.

أكرم مؤمن: فن الترجمة للطلاب والمبتدئين،القاهرة، دار الطلائع.

خليل الجر (الدكتعور) ١٩٨٣م: تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة السادسة، ١٩٨٣م، مؤسسة الكتاب المدرسي.

السهيلي: ٥٠٨-٥٨١هـ/١١١٤م.

شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المعارف.

شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة.

شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.

عز الدين محمد نجيب (الدكتور): أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، الطبعة الخامسة، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

عمر فروخ (الدكتور)، ١٩٨٤: تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين.

عمر فروخ (الدكتور)، ١٩٨٨م: الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

يوسف خليف (الدكتور): الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، القاهرة، الطبعة الرابعة، دار المعارف.

Salisu، M. L. (٢٠٠٢); Translation Techniques Natprint Services، Ltd، Kano.